ندى مكي *

الديموغرافيا والطوائف اللبنانية

الكاتب : يوسف شهيد زخيا الدويهي
تاريخ النشر : غير مذكور
الناشر : غير مذكور
عدد الصفحات: ٢٨٥

يُعتبر التعداد السكاني بشكل دوري من أهم وظائف الدول في توفير البيانات الإحصائية الأساسية، كعدد السكان وخصائصهم وتوزيعهم الجغرافي، وذلك كضرورة أساسية للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي من أجل التنمية وتحديد حاجات المجتمع. إلّا أن بعض الدول، ومن بينها لبنان، تتحاشى إجراء أي إحصاءات رسمية انطلاقًا من اعتبارات طائفية- سياسية. وفي ظل الممانعات السياسية والطائفية لعدم إجراء تعداد سكاني، تُعَدّ الدراسة التي قدمها الباحث يوسف شهيد زخيا الدويهي، للكشف عن التوزع والتغير الديموغرافي والسكاني للطوائف والمناطق في لبنان، أكثر من ضرورية.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من الجداول التفصيلية التي تقوم عليها، إذ تقدم هذه الجداول بشكل تفصيلي معلومات تم الوصول إليها بشأن حاملي الهوية اللبنانية وفق منظارين: **الأول** ملخص دقيق لجميع اللبنانيين المسجلين في سجلات النفوس، و**الثاني** دراسة مفصلة عن اللبنانيين حاملي الهوية اللبنانية، وفق سجلات النفوس ولوائح قيد الناخبين.

* باحثة لبنانية.

وأبرز ما يميز هذه الدراسة هو الجهد الشخصي الذي قام به الباحث، بعد أن أجرى تنقيحًا دقيقًا للسجلات واللوائح الموضوعة من عام ١٩٠٧ حتى ٢٠٠٦.

وبالرغم من أن هذه الدراسة لا تشكّل بديلًا من التعداد السكاني الشامل، فإنها تُعتبر أحدث دراسة مفصلة للتوزع السكاني في لبنان منذ عام ١٩٣٢، تاريخ آخر إحصاء رسمي.

عدد سكان لبنان

في حين يقدَّر عدد سكان لبنان بحوالي أربعة ملايين نسمة، فإن عدد المسجلين اللبنانيين يبلغ، وفقًا للدويهي، ٤,٥٧١,٠٩٢ نسمة، أي بزيادة سنوية قدرها ٦,٥ في المئة منذ إحصاء عام ١٩٣٢، بعد أن كان عدد سكان لبنان يبلغ آنذاك ٧٨٥,٥٤٣ نسمة. ويتضاءل جدوى التوصل إلى هذه النسبة نتيجة غياب الإحصاءات المتعلّقة بمختلف المراحل التي فصلت بين عامي ١٩٣٢ و٢٠٠٦؛ إذ إن مقارنة التغيّرات في السلوكات الثقافية والاجتماعية (كمعدلات الخصوبة والمواليد والوفيات والهجرة) للسكان في لبنان، إن بالنسبة إلى المذاهب أو الطوائف أو المناطق، وهي التي تؤثر في التحوّلات الديموغرافية للسكان، غير ممكنة إلّا من خلال توافر إحصاءات بشأن المراحل السابقة والتبدلات التي طرأت عليها.

توزّع السكان المناطقي

تبيّن الجداول في الدراسة توزّع اللبنانيين السكاني، بحسب المحافظات الخمس التقليدية، على الشكل التالي:

- ١,٠٨٦,٨٦٨ نسمة في محافظتي عكار والشمال، أي ٢٣,٧٨ في المئة؛
- ١,٠٢٥,١٤٤ نسمة في محافظة جبل لبنان، أي ٢٢,٤٣ في المئة؛
- ٥٨٦,٦٨٦ نسمة في محافظة بيروت، أي ١٢,٨٣ في المئة؛
- ٧٧١,٦٧٩ نسمة في محافظتي بعلبك-الهرمل والبقاع، أي ١٦,٨٨ في المئة؛
- ١,٠٩٩,٧١٥ نسمة في محافظتي الجنوب والنبطية، أي ٢٤,٠٦ في المئة.

ويتبيّن أن أكثرية اللبنانيين، وبحسب سجلات النفوس، هي من محافظتي الجنوب والنبطية، تليها محافظتا عكار والشمال، ثم جبل لبنان ومحافظتا بعلبك-الهرمل والبقاع، على أن أقلية اللبنانيين هي من محافظة بيروت، علمًا بأن القانون اللبناني لا يفرض على اللبنانيين تسجيل مكان سكنهم، وهو ما يعني أن من غير الممكن معرفة توزيع السكان بحسب مكان إقامتهم بين المناطق والمحافظات اللبنانية من جهة، أو معرفة عدد المهاجرين والمقيمين خارج لبنان من جهة أخرى.

توزّع السكان المذهبي والطائفي

أظهرت الجداول في الدراسة توزّع اللبنانيين المذهبي، حيث بلغت نسبة المسلمين ٦٤,٦٤ في المئة، بينهم ٢٩,٢٤ في المئة من الطائفة السنّية، وتليهم الطائفة الشيعية بنسبة متقاربة، ٢٩,١٧ في المئة، ثم الطائفة الدرزية بنسبة ٥,٤٢ في المئة، وأقلية علوية بنسبة ٠,٨٢ في المئة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن النسب المئوية للطوائف هي من العدد الإجمالي للمسلمين لا من عدد سكان لبنان.

أمّا نسبة المسيحيين، فبلغت ٣٤,٩٦ في المئة من مجموع اللبنانيين، وتتوزع هذه النسبة على الطوائف المسيحية على الشكل التالي:

- موارنة، وبأكثرية مطلقة: ١٩,٢٤ في المئة؛
- أرثوذكس: ٦,٧٨ في المئة؛

- كاثوليك: ٤,٤٦ في المئة؛
- أرمن أرثوذكس: ٢,٢٩ في المئة؛
- أرمن كاثوليك: ٠,٥١ في المئة؛
- إنجيليون وأقليات مسيحية: ٠,٤٧ في المئة؛
- سريان أرثوذكس: ٠,٤٥ في المئة؛
- سريان كاثوليك: ٠,٢٨ في المئة

التوزع المذهبي حسب المناطق

يمكن، من خلال قراءة الجداول التوزع النسبي للمذاهب في المناطق اللبنانية، حيث شكّلت نسبة المسلمين أكثرية في جميع المحافظات الخمس ما عدا محافظة جبل لبنان، الاستنتاج أن النِّسَب توزعت على الشكل التالي:

- ٦٢,٣٧ في المئة من محافظة جبل لبنان هم من المسيحيين مقابل ٣٧,٢٩ في المئة من المسلمين؛
- ٣٦,٥٣ في المئة من محافظتي عكار والشمال هم من المسيحيين مقابل ٦٣,٢٢ في المئة من المسلمين؛
- ٣٤,٣٩ في المئة من محافظة بيروت هم من المسيحيين مقابل ٦٤,٢٢ في المئة من المسلمين؛
- ٢٥,٨٢ في المئة من محافظتي بعلبك–الهرمل والبقاع هم من المسيحيين مقابل ٧٣,٩٤ في المئة من المسلمين؛
- ١٤,٥٤ في المئة من محافظتي الجنوب والنبطية هم من المسيحيين مقابل ٨٥,٢٩ في المئة من المسلمين.

مقاربة التبدلات الديموغرافية

بالرغم من عدم لجوء الباحث إلى إجراء أي تحليل للجداول التي تضمّنها الكتاب، فقد يكون من المفيد استغلال أرقام هذه الجداول، التي بذل جهدًا غير مسبوق لجمعها، ومقارنتها بنتائج إحصاء ١٩٣٢، لمحاولة الوقوف على التحوّلات الديموغرافية التي طرأت في لبنان منذ ذلك الحين.

شكّل المسيحيون في عام ١٩٣٢ أكثرية بنسبة ٥١,٢ في المئة من عدد السكان آنذاك، لتنخفض هذه النسبة بشكل ملحوظ خلال ٧٤ عامًا، وتبلغ ٣٤,٩٦ في المئة عام ٢٠٠٦ لصالح المسلمين، الذين أصبحوا في عام ٢٠٠٦ يشكّلون نسبة ٦٤,٦٤ في المئة، بعد أن كانت ٤٨,٨ في المئة عام ١٩٣٢.

وفي ما يتعلق بالتوزيع داخل الطوائف، يمكن ملاحظة أن السّنة شكّلوا في عام ٢٠٠٦ النسبة الأكبر من المسلمين، إذ بلغت نسبتهم ٢٩,٢٤ في المئة، بعد أن كانت ٢٢,٤ في المئة عام ١٩٣٢.

وشهدت الطائفة الشيعية ارتفاعًا في النسبة السكانية لتصبح ٢٩,١٧ في المئة من مجموع عدد السكان، بعد أن كانت ١٩,٦ في المئة عام ١٩٣٢.

أمّا الطائفة الدرزية، فما زالت تشكّل أقلية، مع انخفاض في النسبة، حيث بلغت ٥,٤٢ في المئة بعد أن كانت ٦,٨ في المئة عام ١٩٣٢.

هذا في حين أن نسبة الطائفة المارونية، التي كانت تشكّل أغلبية السكان، انخفضت لتشكّل ١٩,٢٤ في المئة من عدد السكان الحالي، بعد أن كانت ٢٨,٨ في المئة عام ١٩٣٢.

وانخفضت نسبة الطائفة الأرثوذكسية لتشكّل ٦,٧٨ في المئة، بعد أن كانت تشكّل ٩,٧ في المئة عام ١٩٣٢.

أمّا الطائفة الكاثوليكية، فبعد أن كانت تشكل نسبة ٥,٩ في المئة عام ١٩٣٢، انخفضت النسبة لتشكل ٤,٤٦ في المئة من مجموع السكان.

وتقدم الدراسة دلالات عن واقع الطوائف الديموغرافي في لبنان؛ فانخفاض نسبة المسيحيين

بشكل ملحوظ يمكن إسناده إلى هجرة المسيحيين خلال الحروب والنزاعات التي شهدها لبنان، إلى جانب انخفاض نسبة المواليد لدى الطوائف المسيحية في مقابل ارتفاعها لدى الطوائف المسلمة.

وبيّنت الدراسة انخفاض نسبة المواليد لدى جميع الطوائف المسيحية والمسلمة ما بين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٦، وذلك بسبب التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي لديها، وارتفاع مستوى التعليم، ودخول المرأة سوق العمل بعد انتهاء الحرب الأهلية.

وشهدت نسبة المواليد لدى الطوائف المسلمة ارتفاعًا ملحوظًا خلال الفترة ١٩٦٦ - ١٩٩٦، وكانت الفترة الممتدة بين ١٩٤٦ و١٩٧٦ الأكثر ازدهارًا للنمو السكاني لدى الطوائف المسيحية، غير أن نسبة مواليد المسلمين خلال هذه الأعوام كانت أعلى ممّا هي عند المسيحيين، إذ وصل عدد مواليد المسلمين في الفترة ١٩٠٧ -٢٠٠٦ إلى ٢,٩٥٤,٧٣٤ مقابل ١,٥٩٨,٢٢٠ لدى المسيحيين، وذلك بحسب الجدول التالي:

الأعوام	عدد مواليد المسيحيين	عدد مواليد المسلمين
١٩٩٧-٢٠٠٦	١٤١,٤٧٣	٤٣٩,٤٧٦
١٩٨٧-١٩٩٦	١٩٠,٢٤٠	٥٩٢,١٠٢
١٩٧٧-١٩٨٦	٢٠٣,١٠٠	٥٠٨,٥٦٨
١٩٦٧-١٩٧٦	٢٣٠,٩٨٢	٤٧٢,٣٧١
١٩٥٧-١٩٦٦	٢٥٠,٥٠٣	٣٩٩,٤٠١
١٩٤٧-١٩٥٦	١٧٨,٩٣٢	٢٣٠,٩٦٩
١٩٣٧-١٩٤٦	١٤٥,٧٦٩	١٥٠,٠٧٤
١٩٢٧-١٩٣٦	١٣٥٦٢٤	١٠٤٣١٨
١٩١٧-١٩٢٦	٧٧,٣٠١	٤٣,٥٦٩
١٩٠٧-١٩١٦	٤٤,٢٦٩	١٣,٨٨٦
مجموع المواليد	١,٥٩٨,٢٢٠	٢,٩٥٤,٧٣٤

وفي بلد كلبنان، تقوم الطوائف فيه بالدور الرئيس في الحياة السياسية، يشكّل حجم هذه التبدلات الديموغرافية عاملًا مخيفًا للبعض، وعامل استقواء للبعض الآخر. ومن هنا ربما يمكن فهم السبب الذي دفع الكاتب الى تجاهل تقديم أي قراءة لأرقام الجداول ونتائجها؛ فالنظام اللبناني، بصيغته الحالية غير راغب في الاعتراف بالمتغيرات الديموغرافية التي طرأت على لبنان خلال العقود الماضية. وما زالت القوى السياسية الطائفية تستخدم اللبنانيين كأرقام لحسابات انتخابية، فيما يخلو محتوى السياسات التنموية الاقتصادية والاجتماعية للحكومات المتعاقبة من البيانات والمؤشرات الإحصائية، كحاجة أساسية لتلبية احتياجات العملية التنموية.